الدار العالمية للكتاب الاسلامي
و
المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م
I.I.P.H.

رسائل إسلامية المعرفة ٢

نظام الإسلام العقائدي

في العصر الحديث

الأستاذ محمد المبارك

Bibliotheca Alexandrina
0101138

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

وقل رب زدني علما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(العلق : ١ـ ٥)

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

(النحل : ٧٨)

نظام الإسلام العقائدي

في العصر الحديث

الأستاذ محمد المبارك

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م

إعادة طبع

١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

نشر وتوزيع

الدار العالمية للكتاب الإسلامي

نشر وتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي بسبعين لغة

الإدارة العامة: ص ب ٥٥١٩٥ ـ الرياض ١١٥٣٤

هاتف ٤٦٥٠٨١٨ ـ ٤٦٤٧٢١٣ ـ فاكس ٤٦٣٣٤٨٩

المكتبات: الرياض ٤٦٢٩٣٤٧ ـ ١ / جدة ٦٨٧٣٧٥٢ ـ ٢ / الخبر ٨٩٤٥٨٢١ ـ ٣

INTERNATIONAL ISLAMIC PUBLISHING HOUSE

I. I. P. H.

Publisher and Distributor of Islamic Books and Tapes in 70 Languages

HEAD OFFICE P.O.Box 55195 Riyadh 11534 Saudi Arabia

Tel (966 1) 4650818 4647213 Fax 4633489

BOOK SHOPS Riyadh1 4629347/Jeddah2 6873752/Khobar3 8945821

المؤلف في سطور
الأستاذ محمد المبارك

● الداعية الأستاذ محمد المبارك ـ رحمه الله ـ أحد أعلام الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي البارزين في بلاد الشام والعالم الإسلامي كله. ولد في عام ١٩١٤ في أسرة معروفة بالعلم والتقوى والصلاح في بيت مجاور للمسجد الأموي وتتلمذ على يد الشيخ محمد بدر الدين الحسني ودرس اللغة العربية على يد والده الشيخ عبد القادر المبارك والتحق بمدرسة الآداب العليا بدمشق ودرس الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٣٥. وسافر إلى باريس لدراسة الأدب العربي في جامعة السوربون وحصل فيها على ليسانس في الآداب ودبلوم علم الاجتماع.

● وبعد عودته نذر نفسه للدعوة إلى الله حتى يرجع المسلمون إلى التمسك بدينهم ويقودوا العالم كما كانوا من

قبل. وعمل مدرساً للعلوم العربية والأخلاق والمنطق. وفي عام ١٩٤٥ عين عضواً في اللجنة الفنية والتربوية لوضع الخطط والمناهج التربوية والتعليمية. كما شارك في وضع المناهج والمواد الدراسية لكلية الشريعة التي أنشئت في سورية عام ١٩٥٤ ودرس مادة فقه اللغة ونظام العقيدة وعلم الاجتماع، وتولى عمادة الكلية في الفترة من ١٩٦٤ وحتى ١٩٦٦... وانطلق بعدها يجوب الجامعات العربية فعمل أستاذاً مشاركاً في التخطيط ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية بجامعة أم درمان، ثم أستاذاً ورئيساً لقسم التربية والدراسات الإسلامية بقسم الشريعة في كلية الشريعة بمكة المكرمة. ثم أستاذاً باحثاً في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

● وللأستاذ المبارك عدد كبير من المؤلفات والدراسات في العقيدة والعبادة والاقتصاد والفقه بالإضافة لعدد من البحوث العلمية. ومن أشهر مؤلفاته: فقه اللغة، فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، والدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية، ومجموعة: نظام الإسلام، والمجتمع الإسلامي المعاصر، والعقيدة في القرآن الكريم، وجذور الأزمة في

المجتمع العربي الإسلامي، وذاتية الإسلام، وعلم الاجتماع الإسلامي.

☆ ☆ ☆

مقدمة

كيف نواجه ـ نحن المسلمين ـ النظم العقائدية الوافدة المتداعية إلى غزونا، بنظام عقائدي إسلامي؟! كيف نصوغ مبادىء الإسلام الأساسية بحيث تنظم جماعة المسلمين، وتكون منهم أمة، وتقيم بهم ـ على أساس هذا النظام ـ دولة، لتجتمع لهم بذلك عقيدة وأمة ودولة على نسق واحد، ينظم عقدها نظام واحد؟ على أن تكون هذه الصياغة مناسبة لأساليب التفكير المعاصرة، وتتمتع بقدرة على الحوار والمواجهة للنظم الأخرى، وعلى مخاطبة الناس جميعاً في عصرنا هذا، والانفتاح على الإنسانية بأفقها الواسع.

لا بد لبلوغ هذه الغاية من العودة إلى الوراء لرسم الخط البياني الذي أوصلنا إلى موقعنا الحالي لنتبينه بوضوح ونعرف مركز انطلاقنا ثم نعود إلى هدفنا من صياغة نظام الإسلام العقائدي.

الواقع والمصير

● مر الإسلام منذ بدايته وقبل مرحلة الغزو الأخيرة هذه بمرحلتين:

أولاهما: كانت مرحلة ازدهار وامتداد وقوة استمرت متصاعدة أربعة قرون، ثم بقيت بحكم الاستمرار محتفظة بقوتها عدة قرون أخرى. وتتسم هذه المرحلة بقوة الإيمان والوعي العميق وازدهار العلوم كلها الدينية واللغوية والعلوم الطبيعية والرياضية وتقدمها، وبالنشاط الاقتصادي وفتوح البلدان وتحريرها من الاستبداد والظلم، وبقوة الدولة الإسلامية وارتفاع مستواها ومؤسساتها الحضارية.

وثانيتهما: مرحلة خسارة وضعف وجمود. وقد برزت هذه الصفات بوجه خاص وبوضوح بعد القرن التاسع الهجري. وتتسم هذه المرحلة بالركود العلمي وغلبة النقل والتقليد وفقدان الإبداع، وتوقف العلوم الرياضية والطبيعية،

بل إغفالها وتراجعها وركود الحركة الاقتصادية والاهتمام بالجزئيات تفكيراً وعملاً، بدلاً من الاهتمام بأهداف الإسلام العامة ومقاصده وكلياته، وذلك مما أضعف الوعي الإسلامي العام وجعله ضامراً متقلصاً، وتتسم كذلك بنوع من الاستسلام والسلبية.

وكل ذلك حصل - في رأينا - بسبب ما طرأ من تغيير على المفاهيم الإسلامية الأساسية، وانحراف عن الاتجاه الإسلامي الأصيل، وتغيير في سلم الأولويات كما رتبها الإسلام في كتابه وسنته، بحيث أصبح الاهتمام الكبير بالأمور الثانوية والإغفال الشديد للأمور التي اعتبرها الإسلام في الدرجة الأولى من الأهمية. يضاف إلى هذا ما أدخل في المحيط الإسلامي من أفكار خارجية أقحمت في الإسلام مباشرة أو بطريق التأويل، وما ابتدع في مجال العقيدة والعبادات، مما أخل بعقيدة التوحيد التي هي محور الإسلام وجوهره وسبب قوته.

إن ما طرأ من تغيير كبير وانحراف وتشويه في مفهوم القضاء والقدر واعتباره استسلاماً للواقع، والتوكل واعتباره تركاً للأسباب وإهمالاً، وللزهد واعتباره تركاً للعمل

والكسب، وللعبادة وحصرها في الشعائر والمناسك دون سائر الأعمال وإقامتها مقام الأسباب لبلوغ الأهداف واعتبار أشكالها وأعدادها بدلاً من روحها ومقاصدها. إن هذه التغييرات أورثت ضعفاً عسكرياً وسياسياً واقتصادياً مالياً وعلمياً.

وإن الاهتمام بجزئيات العبادة والسنن السلوكية والآداب الشخصية مع إغفال الاهتمام بأمر المسلمين العام وبالجهاد وبمكافحة الظلم ومعالجة الفقر وبموالاة المؤمنين والبيعة لإمام مسلم، إن ذلك كله قلب الموازين وأدى إلى تخلف وضعف.

إن هذه الانحرافات وما أدت إليه من نتائج الضعف والجمود والتخلف والانقسام والعصبيات المذهبية والمحلية بلغت قمتها في القرون الأربعة الأخيرة وإن كانت بذورها قديمة وبداياتها ترجع إلى القرن الثالث للهجرة، ولكنها ازدادت واشتدت بالتدرج حتى بلغت ما بلغت، ثم كانت مرحلة الغزو الأوربي.

ذلك أن أهل أوربا أخذوا عن المسلمين ـ ولاسيما

بطريق إسبانيا وصقلية ـ العلوم الطبيعية والرياضيات وشيئاً من الفلسفة وكان ذلك سبب نهضتهم، إذ ساروا بهذه العلوم بعد أخذها متقدمين إلى الأمام. ولكنهم لم يأخذوا من المسلمين العقيدة والمبادىء الخلقية بل بقوا على ما عندهم من المسيحية المغيرة عن أصلها تغييراً كبيراً ومن الفلسفة اليونانية. إن هذا المزيج الثلاثي غير المنسجم أدى إلى تقدم ونمو في الجانب المادي من الحضارة وضمور في الجانب الروحي والخلقي. فارتقت الآلات التي يستعملها الإنسان وتقدمت معرفته لعالم الطبيعة الحسي، ولكن الإنسان نفسه لم يتقدم خلقياً ولا كان لهذه الحضارة أهداف أخلاقية سامية على النطاق الإنساني. بل كان من أبرز سماتها إقصاء فكرة الإله والإيمان به فعلاً كما تفعل الديمقراطية أو إنكاراً كما تفعل الماركسية. ومعها كذلك إقصاء تعاليم النبوات إقصاءاً تاماً.

تم غزو أوربا للمسلمين أرضاً ومجتمعاً وحضارة فكان:

أ ـ الغزو العسكري السياسي الاقتصادي المباشر وهو احتلال للأرض وتول للحكم واستيلاء على الثروة.

ب ـ والغزو الفكري العقائدي الاجتماعي وهو احتلال للنفوس وللعقول والعادات، وحصل بالتدريج إذ تم بمراحل بدأت بشعور فريق من المسلمين بالنقص في أنفسهم ثم إعجابهم وفتنتهم بالغازي المستعمر القوي ثم كان النقل والتقليد والاتباع التدريجي له.

هذه هي الصورة الإجمالية للواقع رسمناها لننتقل منها إلى ما يجب عمله موضوعاً وخطة.

ومنها يبدو أن ثمة ثلاث عمليات لا بد من إجرائها للوصول إلى بناء جديد لكياننا وهي كما يلي:

العملية الأولى:

التحرر من آثار التشويه والانحراف الذي أصاب الإسلام في فهم المسلمين له، وكانت له نتائج سيئة لدى المسيئين لهذا الفهم، فسبب هذا التشويه الفكري النظري التخلف والضعف. وكانت نتائجه لدى فئة أخرى اتصلت بالثقافة الأوربية الحديثة الابتعاد عن الإسلام، وسوء الرأي فيه ظناً منهم أن هذا الإسلام المشوه الموروث هو الإسلام.

العملية الثانية:

التحرر من نقائص الحضارة الأوربية الحديثة، الفلسفية الفكرية والعملية السلوكية، مع استبقاء مكاسبها الصالحة النظرية والعملية.

إن الحضارة الغربية تشتمل على منجزات هي ولا شك. كسب للبشرية، وتتمة لأطوار حضاراتها المتعاقبة، وهي تقدم المعرفة العلمية في ميدان العلوم الطبيعية والرياضيات، والتقدم العملي في ميدان الصناعة ـ بالمعنى الواسع ـ مع التحفظ في أهداف استعمال هذه الصناعة؛ والتقدم التنظيمي والعمراني في حدود استعماله كذلك في أهداف الإنسان الخيرة.

ولكن هذه الحضارة، من جهة أخرى، أهدافها الوصول إلى الرفاهية وإشباع اللذات ووفرة الإنتاج لتحقيق ذلك. وطريقها إلى ذلك التنافس والصراع بين الأفراد والطبقات والشعوب والمعسكرات. وليس العقل والعلم والأخلاق إلا خداماً لهذه الأهداف وأعواناً للانتصارات في ذلك الصراع. وكل ما تحقق من أهداف إنسانية وأخلاقية إنما كان في

نطاق التوفيق بين المصالح الفردية أو الجماعية، وفي إطارات ضيقة لا على نطاق الإنسانية كلها. ولذلك تولدت من هذه الحضارات آفات ومآس، منها القلق والخوف وكثرة التشرد وسلب الحريات والاستغلال وظاهرات أخرى، وكلها مرتبطة بجعل الحصول على المادة ـ سلعاً مصنوعة أو مالاً ـ هي الهدف، بالنسبة للفرد أو الدولة وجمهور شعبها. وليس الهدف رقي الإنسان الخلقي والروحي وسمو نفسه وترقيتها وتهذيبها ولا تنمية عواطف الأخوة الإنسانية والبر والمحبة على النطاق الإنساني، بل تقلصت هذه العواطف حتى في نطاق الأسرة، فضلاً عن نطاق المجتمع القومي والإنساني العام.

وكانت النتيجة ارتفاع قيم إنسانية أصبحت هي العليا والمهيمنة على غيرها، مع أنها ينبغي أن تكون في موقعها الذي تستحقه بالنسبة إلى غيرها لا أن تكون العليا المهيمنة فتحل محل الإله. وقد عدد المفكر الإنكليزي الكبير المعاصر (الدوس هكسلي) عدداً من هذه القيم المؤلهة مما سماه أوثان العصر الحديث، كاللذة والوطن والقومية والجماهير والشعب والعقل والعلم. . .

إن نقائض هذه الحضارة ـ بلونيها الديمقراطي والاشتراكي ـ بل أزمتها وإخفاقها في تحقيق سعادة الإنسان عبر عنه بقوة عدد من كبار مفكري الغرب في القرن العشرين مثل شبنجار والدوس هكسلي والكسيس كارليل وكونس ويلسن وغيرهم.

إن التحرر من غزو الحضارة الأوربية الحديثة لا ينبغي أن يفهم منه إعراضنا عن الأخذ بمكاسبها العلمية ـ في ميدان الطبيعة والصناعة ـ فذلك واجب فوري. كما أنه لا ينافي التعاون ـ في إطار المصلحة المتبادلة ـ مع أصحاب هذه الحضارة، بل التعاون الإنساني العام في نطاق عقيدتنا وقيمنا الأخلاقية الإنسانية.

وإنما التحرر من فلسفتها العقائدية البتراء الناقصة التي هي سبب بلائها وأزماتها، ومن القواعد السلوكية ـ ولا أقول القيم الأخلاقية ـ المنبثقة عنها، ومن الذوبان الخطر في فلسفتها هذه وثقافتها، ومن التبعية لها في مجال السياسة.

الخطورة في كل ما يعبر وينتج عن هذه التبعية كالمعاهدات الثقافية ـ من بعض جوانبها ـ وكاللقاءات

الحزبية بيننا وبين أصحاب تلك الثقافة والحضارة التي لا ينتج عنها - ما دمنا في حالة الضعف السياسي والفكري والنفسي بالنسبة إليهم - إلا امتداد نفوذهم العقائدي وتسلطهم الفكري وازدياد تأثر أحزابنا بفلسفتهم ومذاهبهم العقائدية. وليس ذلك من الحوار في شيء.

إن هاتين العمليتين: التحرر من الانحراف والتشويه الذي وقع فيه المسلمون خلال عصور الانحطاط والتردي، ما بين القرن الخامس للهجرة حيث بدأ بدرجة خفيفة حتى بداية القرن الرابع عشر، والتحرر من التبعية للفكر الغربي في مفاهيمه وأفكاره ونظمه، إنما تتم هاتان العمليتان بالعملية الثالثة الإيجابية التي هي:

إحلال الإسلام - باعتباره نظاماً عقائدياً كاملاً - أي بعقيدته ونظمه المتفرعة عنها محل الثقافتين: ثقافة العصور الوسطى الإسلامية المتجمدة والمشتملة على انحرافات، وثقافة الغرب القائمة على الفلسفة المادية والأهداف المادية.

إن هذه العملية ليست سطحية تقتصر على إقامة الإسلام شعائر عبادات عند الجمهور الشعبي ومراسم ظاهرية

في المواسم والمناسبات. بل هي عملية جذرية.

إن مقابلة النظم العقائدية ـ الأيديولوجيات ـ القائمة في العالم الحي المتحرك ـ ولا أقول الراقي المتقدم ـ من المذهب الديمقراطي المبني على جعل الفرد الإنساني القيمة العليا في الوجود، إلى المذهب الماركسي المبني على أولية المادة وعلى الجماهير منطلقاً، وعلى الصراع والثورة واستبدادية الدولة سلوكاً وعملاً، أقول مقابلة هذه النظم العقائدية بنظام عقائدي إسلامي ينطلق من المضمون الأساسي للنظرة القرآنية، ومن المشكلات المعاصرة، ومن الأزمات الماثلة في الأنظمة الحديثة، بغية حلها في ضوء تلك النظرة، ويكمل نقص تلك العقائديات، محتفظاً في إطاره بمنجزات الحضارة الحديثة ومكاسبها في ميدان العلوم البحتة وفي ميدان الصناعة، ما دامت قابلة للدخول في أطر الإسلام العقائدية والأخلاقية.

المضمون القرآني نقطة الانطلاق

يجب أن نفصل بين المضمون القرآني المشتمل على

نظرة إلى الإنسان والكون والحياة والله المهيمن عليهم جميعاً، وبين الأساليب والاجتهادات التي تمثل الجهد البشري المشكور الذي قام به أعلام المسلمين في العصور الماضية مع تقديرنا لها بما تستحق والاستفادة من تجربتها والاستئناس بها من غير التزام.

فمن المضمون القرآني ـ المؤيد والمبين بالسنة الصحيحة ـ يكون الانطلاق وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة، بأسلوب زماننا ومن خلال مفهومنا واجتهاداتنا التي لا تتجاوز الأصل الثابت. وفي ضوء الواقع والمشكلات المطروحة.

إن هذا العمل نفسه ـ صياغة الإسلام صياغة جديدة في نظام عقائدي كامل ـ سيؤدي رأساً إلى تصحيح ما حدث في العصور السابقة من انحراف وتشويه وتبديل في النسب والأولويات، من غير إثارة للمتأثرين بتلك الانحرافات من تلاميذ الثقافة التقليدية من العامة والخاصة.

وإن هذا العرض الإيجابي كذلك هو الرد الأفضل على المذاهب العقائدية الحديثة والأقوى تأثيراً ونفوذاً في نفوس

المتأثرين بها لأنه سيترك لهم مجال الموازنة والمفاضلة.

وإن القرآن نفسه ـ مع أنه للناس أجمعين في أحكامه ـ راعى حال المخاطبين حين نزوله، كما قال الإمام الشاطبي في كتاب الموافقات، فضرب ـ كما قال ـ الأمثلة التي يفهمونها، وذكر من أنواع الثمار ما يعرفون ومن أنواع الحيوان ما ألفوا.

عقيدة ونظم:

يشتمل كل مذهب عقائدي ـ أيديولوجية ـ على أساس فلسفي يقوم عليه بناؤه كله، وليس هذا الأساس الفلسفي إلا تصوره للوجود ونظرته العامة إلى الإنسان والمجتمع والكون والحياة وما وراء ذلك كما يؤمن بها أصحاب المذهب ويعتقدون. وعلى هذا الأساس يقوم بناؤه، وعنه تتفرع نظمه، أي قواعد سلوك الإنسان ـ فرداً وجماعة ـ المنسجمة والمتفقة مع ذلك التصور، سواء منها النظام الأخلاقي والنظم الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والأسرية.

وعلى هذا فإن الواجب الأول أن نصوغ ما يتضمنه

القرآن من حقائق عن الوجود يعرضها علينا ويدعونا إلى الإيمان بها، صياغة جامعة شاملة.

ولا بد لنا هنا من لفت النظر إلى أن هذه الصياغة ينبغي أن تنطلق من منطلقات القرآن نفسه، لا من منطلقات النظرات الخاصة للفرق الإسلامية ومن مواطن الخلاف بينها، ولا من المشكلات الفلسفية التي طرحها سابقاً المتكلمون والفلاسفة، لئلا تحجبنا تلك النظرات عن الرؤية المباشرة للقرآن.

ويجب أن تشتمل هذه الصياغة للعقيدة وللتصور الوجودي العام على مرتكزات النظم التي ستنبثق منها، بحيث ترى مواطن الاتصال بين العقيدة والنظم، فيكون الارتباط بينهما ارتباطاً عضوياً واضحاً، تسلمك العقيدة إلى النظام، ويدلك النظام على جذوره العقائدية.

والقرآن نفسه يقدم لنا هذا النهج إذ ترى قواعده الأخلاقية وأحكامه التشريعية مرتبطة أشد الارتباط ومشوبة دائماً بعقيدة الإيمان بالله وبالمسئولية أمامه في الحياة الآخرة.

ونختم هذه المقدمة بتلخيص رائع لهذا النظام الكامل قدمه أحد الصحابة وهو ربعي بن عامر في كلمته لقائد الفرس الذي كان يحاول مساومة المسلمين ظناً منه أنهم طلاب دنيا، فكان جواب الصحابي قوله:

«إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها».

صياغة العقيدة الإسلامية

كيف يمكن أن نتجاوز العصور لنرجع إلى أصول الإسلام ومصادره فنصوغ المضمون القرآني في عصرنا بأسلوب زماننا كما صاغ من قبلنا ذلك بأسلوب عصرهم، صياغة مقترنة بتصحيح المفاهيم التي شوهت أو حرفت، مع وضع مكاسب الحضارة الحديثة التي يقبلها الإسلام في مكانها من إطاره، متحررين كذلك من النظرات الأجنبية المقحمة.

ينطلق بنا القرآن في دعوته من منطلقين: الكون

والإنسان كما يبدو من الآية الكريمة: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ ومن الآية الأخرى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

الكون أو الطبيعة:

ينطلق بنا القرآن الكريم فيعطينا عن الكون في سمائه وأرضه، وشمسه وقمره ونجومه، وبره وبحره، وإنسانه وحيوانه، ونباته وثماره، ورياحه وسحبه، وأمطاره ومياهه، صورة واضحة، شاملة الإطار.

تعرض هذه الصورة الشاملة موجزة تارة (ملكوت السموات والأرض) أو ما يعادلها من التعابير في القرآن وتارة مفصلة كقوله تعالى في سورة النحل:

﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين. والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا

بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون. وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين. هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

في هذه الآيات السابقة استعراض لعالم الإنسان والحيوان والنبات والأفلاك ثم تتوالى الآيات بعدها في تفصيل ما في الأرض.

﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون. وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون. أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾. سورة النحل (٣ ـ ١٧).

وتتكرر هذه الصورة الشاملة في آيات وسور كثيرة كما تأتي مشاهدها الجزئية منثورة في القرآن الكريم.

والكون متحرك متبدل في النظرة القرآنية، وجميع أجزائه وأنواعه في حركة وتغير وهذه الآيات الدالة على ذلك:

﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾، ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾، ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدَّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾.

﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾. وكذلك الإنسان الذي خلقه الله **﴿أطواراً﴾ ﴿خلقاً بعد خلق﴾** وخلقه **﴿من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾**. وكذلك المجتمع الإنساني في حركة وتغير **﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، ﴿ولكل أمة أجل﴾، ﴿وكأين من قرية أهلكناها**

وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾.

إن ما ينشأ من حركة الكون وأجزائه من حوادث أو ظواهر كجريان الرياح، وسوق السحب وتراكمها، ونزول المطر، ونمو النبات، ثم نضجه ويبسه وتفتته، وحركة الكواكب، وتعاقب الليل والنهار، وانتقال الإنسان في نموه من طور إلى طور، والمجتمع الإنساني من حال إلى حال، كل هذا يشير القرآن إلى جريانه وفق سنن منتظمة ومطردة. وهذه الآيات التالية تدل على ذلك:

﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله﴾.

﴿وأنزل من السماء ماءاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾. وهكذا تتوالى الحوادث بانتظام ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾ وهكذا ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾. تلك سنن الله في الكون ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾. فلا تعارض ولا تصادم بل ﴿كل في فلك

يسبحون﴾ ولذلك أقسم الله بمواقع النجوم لعظم هذا التوازن في مواقعها وجريانه على سنة أو قانون دقيق ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾.

بل إن هذه الحوادث الكونية تجري على سنن رياضية محسوبة المقادير ففي الكتاب الكريم ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾[1] ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[2] و ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾[3]، ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾[4] ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾[5] ﴿فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم﴾[6] ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[7]، ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾[8].

---

(١) سورة الرعد: ٨.
(٢) القمر: ٤٩.
(٣) الطلاق: ٣.
(٤) الفرقان: ٢.
(٥) المؤمنون: ١٨.
(٦) المرسلات: ٢٢.
(٧) يس: ١٤.
(٨) الجن: ٢٨.

إن هذه الصورة التي يقدمها لنا القرآن عن الكون بوضوحها وشمولها، وحركتها وقوانينها أو سننها، المطردة المحسوبة، والمنتظمة المقدرة خالية من الخرافات والأساطير التي حاربها رسول الله ﷺ في أحاديثه محاربة شديدة. وما أكثر الأحاديث الصحيحة الواردة في النهي الشديد عن العرافة والكهانة. والطيرة والتمائم، وعن ربط الحوادث الفلكية بالحوادث البشرية (التنجيم). ونكتفي بذكر هذا الحديث ذي المغزى البعيد:

كسفت الشمس في اليوم الذي مات فيه إبراهيم ابن الرسول ﷺ فقال الناس إن الشمس كسفت لموته فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج مغضباً يجر إزاره ونادى الناس فاجتمعوا فخطبهم وقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يريهما الله عباده لا تكسفان لموت أحد ولا لحياته».

وزاد القرآن على ذلك أمراً آخر، وهو أنه فصل عالم الغيب الذي أعلن وجوده عن عالم الشهادة والحس. فالقرآن وفيه ذكر لعوالم غير حسية كالملائكة والجن والشيطان لم يذكر تداخلاً بين هذه المخلوقات الغيبية والحوادث الكونية.

فالرياح تسوق السحب[1] والسحب تتراكم والماء يخرج من خلالها فينزل فينبت النبات، هذه سلسلة من الحوادث المتصلة لا نرى في أولها ولا في وسطها ولا في آخرها تدخلاً من عوالم غيبية، بل هي قابلة للملاحظة من الإنسان وللربط بينها واستخراج السنة التي تجري بحسبها. وكذلك امتداد الظل وانقباضه مرتبط بوضع الشمس بالنسبة إلى الأرض ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾.

ولهذا كان الكون (الطبيعة) وحوادثه ـ كما تدل على ذلك الآيات القرآنية الكثيرة ـ موضوع تأمل وتفكير تستعمل في ميدانه الحواس الإنسانية من الرؤية والسمع لتعين العقل والفكر في معرفة حقائقه وسننه. ولذلك نلاحظ كثرة استعمال الألفاظ الدالة على الحواس والتفكير في مطالع الآيات المتضمنة لأجزاء الكون وحوادثه وفي خواتيمها (انظروا ـ أفلا ينظرون ـ أولم يروا ـ يبصرون ـ يسمعون ـ يتفكرون ـ يعقلون ـ يعلمون ـ العالمين).

---

(١) «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله ـ الروم ـ».

وفي ذلك توجيه للإنسان، بل تحريض له على استعمال حواسه للملاحظة، وعقله للتفكير والاستنتاج، ويده للتجربة، وإشارة صريحة إلى أن الكون قابل لهذا النوع من المعرفة الإنسانية، التي ستزداد يوماً بعد يوم **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾**.

وتؤيد السنة هذا الاتجاه كما يتضح في حديث تأبير النخل العظيم الدلالة والتوجيه، وهو أن النبي ﷺ مر على قوم يؤبرون النخل فسأل عما يعملون فأخبر فقال لو تركتموه فتركوه فلم يثمر فرجعوا إليه وأخبروه فقال: «إنما هو ظن ظننته وإن الظن يخطىء ويصيب إذا كان يصلح فافعلوا». وفي رواية «إذا أمرتكم بأمر من أمور دينكم فأطيعوا وإذا أمرتكم بأمر من أمر دنياكم فإنما أنا بشر»[١].

وأمور الدنيا في هذا الحديث وغيره يراد منها حصر الأمور الكونية الحسية كالزراعة والصناعة والطب وما إلى ذلك، ولا يدخل فيها إطلاقاً ما وردت فيه أحكام شرعية في

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده.

القرآن والسنة في ميدان العلاقات الاجتماعية والقواعد السلوكية.

ومثل هذا الحديث في الدلالة والتوجيه إلى استعمال التجربة طريقاً إلى معرفة الكون وحوادثه وسننه حديث «إن الله أنزل لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برىء بإذن الله»[١].

هذه هي الصورة التي يعطيها القرآن عن الكون (الطبيعة)، وهي تتصف كما قلنا بالشمول والوضوح وبالحركية والانتظام وبقابلية الإدراك والمعرفة، وهي التي كانت سبباً مباشراً ودافعاً قوياً لنمو الفكر العلمي الموضوعي في ميدان الطبيعة، ولظهور الطريقة التجريبية وكثرة استعمالها.

النظرة الربانية للكون

بينما يقف الماديون في نظرتهم إلى الكون عند هذا الحد ينطلق بنا القرآن من منطق الكون هذا فيدفع تفكيرنا

(١) في الصحيحين.

إلى ما وراء هذه الحدود ويتجاوزها إلى التفكير في خالق الكون من حيث أصل وجوده الأول:

﴿أم خلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون؟﴾، ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾، ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون!﴾ ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾، ﴿الذي فطركم أول مرة﴾، ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾، ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾.

وهو كذلك المقدر لسننه، والخالق لأسبابه ومسبباته، والمبدع لنظامه، **﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾**، **﴿والذي قدر فهدى﴾**، **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾**، **﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً﴾**. والشواهد على ذلك كثيرة.

وهكذا يوصلنا القرآن بعد الطواف الطويل في الكون إلى خالقه وفاطره ومبدعه. العليم الحكيم الخبير القدير. وليس الإنسان وعقله إلا مكتشفاً لآثار صنعته، ولسننه التي قدرها، وهو نفسه أحد مخلوقاته، **﴿نحن خلقناكم فلولا**

تصدقون﴾، ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. وليس الإنسان كذلك ألا مستثمراً لسنن الله التي اكتشفها لا موجداً ولا واضعاً لها: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.

وبهذه النهاية تصل النظرة الفكرية والمعرفة العلمية إلى النظرة الربانية وإلى العبادة عن طريق التفكر، ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾.

المنطلق الأول للإسلام: الكون

ينطلق بنا الإسلام مرة أخرى من الكون (الطبيعة)، ولكن من زاوية أخرى، وهي منافع الكون واستثمارها. فالكون كما يصرح القرآن «مسخر» للإنسان و «مذلل له». وهي فكرة مرددة في القرآن في كل مناسبة يعرض فيها جانباً أو جزءاً من هذا الكون. وفي هذا العرض دائماً بيان لمواطن الانتفاع أو المتعة بوجه عام. وهذه بعض الشواهد من الآيات الدالة على ذلك:

﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأنعام: ١٤١).

هذه الآية تقابل وتتمم آية سابقة في السورة نفسها وفيها: **﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾**، ومثل هذه الآية قوله تعالى:

﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (النحل: ١٤).

وهي تتضمن تسخير البحر للإنسان للانتفاع بأسماكه ولؤلؤه ومسير الفلك فيه للانتقال والتجارة. وهكذا سائر ما يرد ذكره في القرآن من النبات والزرع وأنواع الحيوان والكواكب من الشمس والقمر والنجوم، كل في إطار الانتفاع والاستثمار والتسخير.

ويلاحظ أن توجيه القرآن للإنسان للانتفاع بما في الكون توجيه قوي فيه إغراء ودفع. وقد سمى القرآن هذا

النشاط الإنساني للانتفاع (ابتغاء من فضل الله) ومن هنا يتضح زيف الاتجاه الداعي إلى الإعراض عن العمل والنشاط إذ هو إعراض عن فضل الله وانحراف عن الخط الإسلامي الأصيل.

إن هذا التسخير يعم الكون كله فهو منطلق لنشاط الإنسان إذا استطاع وهو مدفوع إلى ذلك وموجه إليه:

﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ فالكون كله (السموات والأرض) مسخر للإنسان وهو مليء بـ (النعم) التي بعضها ظاهر قريب التناول وبعضها خفي يحتاج إلى عمل واستخراج وجهد.

ذلك أن الإنسان مستخلف من الله على هذا الكون، وقد أعطى من قبله قدرة وسلطة عليه **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾** (البقرة) **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾** (الأنعام).

وهذا التسخير والإنعام وإعطاء القدرة للإنسان على الانتفاع منه يستحق الشكر من جهة كما يستحق أداء ما

يترتب عليه من واجبات يفرضها المنعم المسخر، ويستلزم المسئولية وترقب الحساب والجزاء، وتتلخص هذه الفكرة في هاتين الآيتين:

﴿وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك) **﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾** (البقرة).

من هذا المنطلق العملي للكون الذي يصل بين الإنسان وما في الكون من ضروب الانتفاع والاستثمار والتمتع ـ يدفع الإسلام الإنسان ليستمر في سيره نحو الله استشعاراً لنعمه، واستحضاراً لرحمته، وانتظار لجزائه، وترقباً لحسابه. إنه لا يقف عند متع الكون ولا يجعلها غايته، ولا يعرض عنها ولا يقفز فوق الكون ويهمله، ولكنه ينتقل من نشاطه فيه ومتعه إلى خالقه والمنعم به ومستخلفه عليه.

المنطلق الثاني للإسلام: الإنسان

بعد انطلاق النظرة الإسلامية من الكون، لعرضه على الإنسان، على عقله يتأمله ويتعرف على أسراره وظواهره

وسننه وعلى يده وجوارحه ينتفع ويتمتع به، في ظل النظرة الإيمانية الربانية التي تتوج التأمل والتمتع معاً، وتربطه في الناحيتين بالإله الخالق المنعم الذي سخر له الكون في المجالين وأقدره على النشاطين النظري والعملي، بعد هذه الانطلاقة، تنطلق النظرة الإسلامية (القرآنية) من الإنسان نفسه، لا لتجعله مركز الوجود ege centerism ولا لتؤلهه في أي شكل من أشكال التأليه القديمة أو الحديثة، بل لتعرفه بنفسه وبموقعه الحقيقي من الوجود، بين الكون والله، ولتشعره بهذا الموقع في وعي الوجود كله وعياً بصيراً مستيقظاً. **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾**، **﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾**. يوجه القرآن نظر الإنسان إلى نفسه.

ففي خلقه المتجدد الفردي **﴿من سلالة من ماء مهين﴾**، **﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾** وفي خلقه الأول جنساً بشرياً: **﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾** وفي عناصر تكوينه: الترابي منها **﴿والله خلقكم من تراب﴾**، والنباتي **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾** والحيواني **﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾**،

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ وفي تمييزه عن الحيوان ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ إذ جعله ﴿في أحسن تقويم﴾ منتصب القامة ﴿يمشي على رجلين﴾ منطلق اليدين ﴿خلقك فسواك فعدلك﴾. وميزه عن الحيوان بالعلم المكتسب بعد الولادة والمتزايد دائماً ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾، ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وبالعقل والإدراك، فالبشر هم الذين ﴿يتفكرون﴾ و ﴿يعقلون﴾ وإذا تجردوا من ذلك كانوا كالأنعام، ﴿لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾. وميزه كذلك بالقدرة على التعبير والإبانة ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ فهو مجادل بفكره مفصح بلسانه ﴿خصيم مبين﴾.

وميزه كذلك عن أنواع الدواب التي ذكر حيناً معها ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾ ومن أصناف الحيوان التي وصفها بأنها ﴿أمم أمثالكم﴾، وبالحياة الاجتماعية وتكوين المجتمعات والتعارف والتعاون ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾. ومن مجموع هذه المزايا: انتصاب القامة

واعتدالها وانطلاق اليدين والعقل أو الإدراك والعلم المكتسب النامي والحياة الاجتماعية في تركيبها وتعاون أفرادها وجماعاتها يتكون المخلوق الحضاري المتميز صانع الحضارات المستخلف من الله في الأرض. ويتميز هذا المخلوق أخيراً بأن الله خلقه **﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾** وهذا العنصر المجهول الكنه **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾** يبدو أنه أعلى عناصر تكوين الإنسان وأنه منطو على قابليات عظيمة للسمو والارتفاع في معارج الرقي النفسي. وهذا اللفظ نفسه (الروح) أطلق على جبريل الملك المقرب.

هذا هو الإنسان الذي كرمه الله **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾**، وأعطاه من الصفات الحياة والإرادة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر. وهي في شكلها المثالي الأكمل بعض صفات الله، ليتمكن من القيام بما وكِّله إليه في الأرض من أمانة الخلافة، إذ جعله الله خليفة في الأرض، واستخلفه فيها **﴿هو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾**. والخطاب للبشر جميعاً على أن يحسنوا حمل الأمانة **﴿فمن كفر فعليه كفره﴾**. ذلك أنه أعطاه من الصفات والخصائص

ما يمكنه من العمل بل من تغيير الواقع والمشاركة الحرة في الاختيار ﴿وهديناه النجدين﴾ فكأن الله وضع قلم الأقدار في يده، وهو خليفته في الأرض، ليخط - في حدود حددها له - جزءاً من هذه الأقدار «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» كما ورد في الحديث النبوي. وتلك سلطة عظيمة تستلزم المسئولية أمام مانحها بقدر ما أعطى من القدرة ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾.

وفي الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون».

إن عظمة الإنسان ورفعته تتجلى في معرفته لحقيقته وفي استشعاره واستحضاره اليقظ الدائم لموقعه من الوجود، وهو أنه مستخلف في الكون ممن خلقه وخلق الكون معاً. فإن استشعر افتقاره لخالقه وحاجته إليه وعبوديته له واستمداد سلطانه منه كان في أرفع مكانة من الوعي وأعلى درجة من الأخلاق. وإن اعتقد استغناءه عنه فأَلَّه نفسه زوراً وزيفاً انتهى إلى التجاوز والطغيان، وبالتالي إلى القلق والاضطراب ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾. وذلك مآل الحضارات التي يضعها الإنسان مستغنياً عن الإله الخالق الحقيقي، ففيها

تتجمع المآسي والآفات وتنتهي إلى الدمار والهلاك.

فتأله الإنسان وطغيانه، وتجاوزه لموقعه الحقيقي في الوجود، حصل ولا يزال يحصل في البشرية في أشكال مختلفة. ففرعون تكبر وطغى فتأله بسلطانه، وقال أنا ربكم الأعلى، واضطهد إخوانه في البشرية واستعبدهم. وقارون بغى على قومه وتأله عليهم بماله، فكانت عاقبة المتألهين كليهما الهلاك... وتأله رجال الدين من الأحبار والرهبان **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾** فكان ما كان من الثورة عليهم في تاريخ المسيحية في أوروبا.

هذا الإنسان المهين ابتداءً، العظيم انتهاءً، مَن خلقه؟ ومَن أعطاه القدرة والسلطان على الكون؟ **﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟﴾** بل الله خالقه وخالق كل شيء.

أهو خلق الكون (الطبيعة) وهو جزء منه ونوع من أنواعه؟ أهو خلق ما فيه من سنن (قوانين) وما هو إلا مكتشف لها ومنتفع بها **﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾**، **﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون...﴾**.

أم الكون (الطبيعة) خلق الإنسان وهو أعلى منه نوعاً وأكثر تعقيداً؟.

لا بد إذن من الانتقال من الإنسان إلى خالقه كما انتقلنا من الكون إلى خالقه.

وهكذا يصل الإنسان أنى انطلق، من نفسه ومن الطبيعة التي تحيط به، ومن جميع فعالياته الفكرية والعلمية والعملية والاقتصادية، ومن جميع ميادينه النفسية والأخلاقية والسياسية، إلى الله الخالق المهيمن، وينتهي إلى الخضوع المطلق له وحده.

هذه هي الحقيقة العظمى والنهائية بعد طواف الإنسان في آفاق الكون. والإيمان بها هو الناظم المعدل لجميع هذه الفعاليات ينميها وينسقها. وبذلك يقدم أمام الإنسان ويفسح له المجال للارتقاء المتوازن في معارج الرقي من جميع جوانبه وأنواع نشاطه ليكوّن الحضارة المثلى في حياة بني البشر، ولتتم السعادة القصوى في الحياة الخالدة.

هذه العقيدة المرتكزة على الإيمان بالله الواحد هي التي تحرر الإنسان من جميع أنواع العبوديات ذات النتائج الضارة كعبوديته المذلة للطبيعة أو لجزء منها، وكعبوديته لفرد أو

طبقة من البشر كأصحاب المال والسلطان، أو للقيم المبتدعة المؤلهة كالجماهير والشعب والقبيلة والقومية والوطنية والعقل والعلم والغريزة. وكلها قيم إنسانية لها موقعها ولكنها ليست القيمة العليا ولا الإله الذي يعبد ويكون له الخضوع المطلق.

هذه هي النظرة الإسلامية التي تنطلق بالإنسان من نفسه إلى الكون المحيط به تفكيراً وشعوراً وعملاً في وعي شامل فتضع العقل الكاشف والحواس المعينة له والنشاط الاقتصادي (الكسب والعمل) الهادف؛ لنفع عباد الله والابتغاء من فضله والعلم المعين على بلوغ هذه الأهداف الخيرة والروابط الاجتماعية من الأسرة حتى الإنسانية في نطاق التعاون الهادف لعمارة الأرض وإرضاء الله. وكذلك سائر القيم من الغريزة والزينة والجمال واللهو تضع كل واحدة من هذه القيم في موضعها من منظومة القيم، لا تطغى واحدة على أخرى، بل تلتقي وتتعاون وتتوازن بالقسط لتنتهي بمجموعها بالإنسان إلى الله خالقها وخالق الإنسان، دون أن يكون عبداً لواحدة منها أو سجين الكون المحدود الذي يعيش فيه.

عناصر الدعوة الإسلامية

ثلاثة عناصر اقترنت وتلازمت في الدعوة الإسلامية منذ قيام النبي عليه الصلاة والسلام بها وهي:

١ ـ الفكر الذي يتم به الإقناع والذي كانت تنزل به الآيات لمخاطبة المشركين وإقناعهم والتأثير في نفوسهم ابتداءً من دعوتهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر.

٢ ـ التزام النبي ﷺ ومن آمن معه وأصبحوا صحابته بتعاليم الإسلام التي نزلت في الظاهر والباطن أي بالعمل بها واستشعارها في نفوسهم المتصلة بالله.

٣ ـ التحرك في سبيل الدعوة ونشرها وما يستلزم ذلك من تدبير وتنظيم جماعي. وهذا شأن جميع الدعوات إذ أن لها فكرة تقوم عليها وخطة عملية أو حالة نفسية تناسبها وتنظيماً حركياً مناسباً لها.

وبناءً على هذا يجب أن نتذكر منذ البداية أن الفكر

الإسلامي هو جزء من الدعوة الإسلامية وليس هو الدعوة الإسلامية كاملة.

من الملاحظ أن هناك تحركاً في العالم الإسلامي المعاصر ولاسيما في أوساط الدعوة الإسلامية ولدى جميع المهتمين بإحياء الإسلام نحو العودة إلى الإسلام الأصيل المتجلي في الكتاب والسنة. ذلك أن هناك عملية تحرر من البدع الدخيلة التي كونت مجموعة من التقاليد خلال القرون الماضية. إذ أنَّ هذا (الإسلام الموروث) الذي هو مزيج من الصحيح الأصيل والدخيل المبتدع في الدين والعادات هو الذي اصطدم بالحضارة الغربية غير الإسلامية التي غزت العالم الإسلامي بقوة تيارها الفكري والآلي فانطلق المسلمون يفتشون عن المخرج الصحيح من الأزمة ووجدوا أن البديل هو الإسلام الصحيح الأصيل. وهناك عملية أخرى وهي التحرر من تأثير الغزو الأجنبي غير الإسلامي ولاسيما الفكري والاجتماعي بدوافع كثيرة أهمها استثار الذاتية الإسلامية، فكان المخرج من ذلك بالعودة إلى مصادر الإسلام الأصلية من الكتاب والسنة واستخراج ما فيها مع الاستعانة بأعلى مستويات الاجتهاد في أزهى

العصور ولدى أعظم المجتهدين.

فالنهضة الإسلامية المعاصرة إنما تتجه نحو الاستقاء والأخذ من الينابيع الأصلية للإسلام ولاسيما من الكتاب والسنة.

ومع ذلك نلاحظ أن الصياغات التي تحاول الاعتماد على الكتاب والسنة في العصر الحديث لا تخلو من التأثر بإحدى النزعتين أو التيارين: تيار التقليد السائد في القرون الأخيرة أو تيار الفكر الغربي سواء أكان ذلك في المضمون الفكري أو في الطريقة والمنهج وذلك حسب التكوين الفكري لمن يكتب عن الإسلام.

وفي رأينا أنه كلما برزت وترسخت المفاهيم المتخرجة من الكتاب والسنة مباشرة ضعف التأثيران السابقان من حيث المضمون. وواقع الحال أن العودة إلى الأصل تتسع عمقاً وأبعاداً.

☆ ☆ ☆

العودة للأصول

إن في الكون الذي خلقه الله ظواهر درسها وما زال يدرسها الإنسان وهو يكتشف باستمرار ما يختفي وراءها من اتصال وتناسق يجعل منها وحدة مركبة متناسقة متصلة، وكذلك القرآن الذي هو كلام الله والسنّة التي هي بيان الرسول ﷺ له بأمر من الله الذي أوحاه إليه، ففي القرآن والسنّة أخبار عن حقائق وأحكام وهي كثيرة متنوعة وقد توالت عقول المجتهدين على التعمق في فهمها واكتشاف ما بينها من صلات وما وراءها من تناسق وتناسب واتصال، وكما أن الطبيعة التي خلقها الله لم تنفد عجائبها فإن القرآن كلام الله لن تنفد عجائبه، ويستمر الفهم البشري ـ الذي يقوم به المؤمنون به خاصة ـ في اكتشافه ومعرفة كنهه.

إن هذه المحاولة لكشف ما في الإِسلام قرآناً وسنّة ـ من وحدة ترجع إليها الجزئيات تجلت في القرون الثمانية الأولى من تاريخ الإِسلام لدى كبار المجتهدين من الفقهاء

الذين استخرجوا تقاليد الشريعة وأهدافها، ولدى كبار المفكرين الذين استخرجوا عقائد الإسلام وأصول الدين وكتبوا في العقيدة الإسلامية من علماء التوحيد، ولكن المتأخرين من الفقهاء وعلماء التوحيد (العقيدة) والمتحدثين جنح أكثرهم إلى الجزئيات وإلى عرض الإسلام بهذه الطريقة الجزئية.

وقد اشتدت الحاجة في العصر الحاضر إلى العودة إلى طريق السلف من جمع جزئيات الإسلام في كليات وربط الأحكام بالمقاصد والأهداف وتصنيفها بعد جمعها في أبواب تجمع المتجانسات، وقد كان هذا النوع من الفهم الشامل الجامع للجزئيات المدرك للمقاصد والأهداف ظاهراً صراحة أو ضمناً لدى علماء الصحابة في أقوالهم وتصرفاتهم.

وأن من أسباب فتنة بعض المسلمين بالمذاهب الحديثة والعقائد الباطلة التي غزت الأمة الإسلامية أنها تعرض في صياغة جامعة مترابطة توهم الناظر إليها بصدق باطلها، ذلك أن هذه النظرة الشاملة من جهة والمترابطة الأجزاء من جهة أخرى تكسب هذه المذاهب قوة في الإقناع والتأثير وإن كانت في جوهرها وحقيقتها باطلة.

والإِسلام يمتاز من الأصل بهذه النظرة الشاملة وبالترابط والتناسق بين أجزائه مع صحة أسسه وسلامة أهدافه. هذه النظرة تنقذنا من الصور المعروضة المشوهة والمفككة والمذهبية.

إتمام بيان المبررات:

النظرة الشاملة ترينا موقع كل جزء ودرجته في الأولوية ونسبته إلى النظام كله ونسبته إلى غيره وقد ابتلي المسلمون إلى جانب الإبداع بتغير هذه النسب وبالتالي تغيير الإِسلام والاختلاف بينهم.

إن عملية (صياغة الإِسلام) في عصرنا الحاضر في عقيدته الإِيمانية بتصوراتها العامة ومشاعرها النفسية ـ التي ترمي إلى تكوينها ـ وتعاليمه الأخلاقية بقواعدها العملية وتوجيهاتها النفسية ـ وأحكامه التشريعية، عملية دقيقة وخطيرة لما يترتب عليها من النتائج. إن ثمة مزالق وعقبات أمام هذه العملية من أبرزها:

(أ) التأثر بالمجتمع المعاصر في الفكر والعادات

والانطلاق من أفكاره أو عاداته ومحاولة تأويل النصوص الإسلامية لتوافقها، أو تسلل بعض الأفكار من خلال التعابير الحديثة.

(ب) التأثر بالفكر التقليدي في المجتمع الإسلامي أي بأفكار أو أساليب القرن الماضي مما لا يلزمنا الإسلام به ولا سند له من كتاب أو سنة على سبيل الإلزام.

(ج) التسرع في الاستنباط من نص أو أكثر من غير استقصاء للنصوص الواردة في الموضوع أو عدم استيفاء العناصر اللازمة للقدرة على الاستنباط.

اعتبارات يجب مراعاتها في الصياغة:

(أ) اعتبار نصوص الكتاب والسنّة من حيث مضمونها ودلالتها وتعبيرها وهذا اعتبار ثابت أصيل وهو الأول بين جميع الاعتبارات.

(ب) الاستئناس باجتهادات أئمة المسلمين ابتداء من فقهاء الصحابة وإعطاء ما حصل عليه إجماع في الاجتهاد اعتباراً كبيراً.

(ج) اعتبار الاتجاهات الإسلامية المختلفة إبراز ما في الإسلام من العناصر التي تشد كلاً منها إليه بحيث يجد كل منها في هذه الصياغة ما هو موضع اهتمامه الأول فتكون الصياغة معيداً لالتقائها من جهة وطريقاً لتصحيح موقف كل منها من جهة أخرى. وأن هذا الاعتبار عظيم الشأن خطير النتائج كثير الجدوى، ذلك أن هذه الاتجاهات المختلفة في كثير من مفاهيمها وأطرها تتصادم الآن في البلاد الإسلامية بل تتصارع صراعاً يؤدي إلى تقوية الجهات المعادية للإسلام وإعطائها فرصة النيل من جميع الجماعات الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها وغزوها، والربح على حسابها.

ونذكر على سبيل المثال: إبراز العنصر الخلقي النفسي من الإسلام أي جانب تزكية النفس كما عبر عنه القرآن، أو فقه الأعمال الباطنة كما سماه ابن تيمية، وهو الجانب الذي عنى به أهل (التصوف) ولكن أضافوا إليه أموراً أخرى مختلفة المراتب في قربها أو بعدها عن الإسلام.

ومن ذلك الحكم أيضاً إبراز طريقة السلف في العودة في كل أمر إلى الدليل من الكتاب والسنّة سواء أكان ذلك في العقيدة أو في الأخلاق أو في الفقه والأحكام سواء أكان

ذلك لتحديد الحكم أو القاعدة أو الحقيقة، أم كان ذلك لإثبات فسح الإسلام المجال للاجتهاد في الرأي دون تحديد، أم كان لتحديد الاتجاه في الموضوع فحسب دون النص على الجزئيات والتفصيلات، فالنص أو الدليل النقلي قد يحيل الأمر على العقل أو على أهل الذكر والخبرة وقد يحدد المضمون تحديداً قاطعاً.

ومن ذلك إبراز العنصر العقلي في كل ما وكله الإسلام في نصوصه صراحة أو ضمناً إلى العقل وفيما دل على حكمته المعقولة أو علته المقبولة.

فإبراز كل واحد من هذه العناصر في حدود ما قرره أو قبله الإسلام سيشد إلى صياغة الإسلام هذه أصحاب الاتجاهات التي تعنى بها وتضعها في المرتبة الأولى وبذلك يلتقي السلفيون والصوفيون وأصحاب النزعة العقلية في فهم الإسلام دون أن يخل ذلك بأصل الفكرة الإسلامية مع تلقيح كل اتجاه بما يهمله أو ينقصه وتصحيح ما كان منها بحاجة إلى تصحيح.

(د) احتواء ما يمكن احتواؤه وقبول الإسلام له مـ

الأفكار والحلول التي استغلتها المذاهب الحديثة المخالفة للإسلام منعاً لاستغلالها والتذرع بها.

فعناية الإسلام بحل مشكلة الفقر ومعالجتها على أسس من العدالة والتكافل الإنساني أمر معلوم فمن الواجب أن تتضمن الصياغة العناية بهذه المشكلة في إطار ما أولاها الإسلام نفسه من مكانة وفي إطار أفكاره العقائدية وأحكامه التشريعية عامة.

وفي ذلك سد لطريق من يريد ربط هذه المشكلة بمذهب عقائدي آخر وجر الفئات المعنية بها إليه. وكذلك مشكلة القومية التي اتخذت ذريعة لإقصاء الإسلام باعتباره رابطة اجتماعية وهدفاً، فالإسلام لم يتطلب إلغاء القوميات من الوجود ولكنه رسم لها هدفاً وطريقاً مشتركاً وربطها جميعها بهذا الهدف فوحد عقيدتها وغايتها وتشريعاتها وأسس عاداتها وقيمها الأخلاقية. وتحقق بذلك في التاريخ اشتراك قوميات متعددة في تأسيس حضارات إسلامية مشتركة، ولا يزال الباب مفتوحاً لتعاون الأقوام على صعيد الإسلام لتحقيق ألوان جديدة من الحضارة مستمدة من الإسلام. والشعار الذي رفعه الإسلام في هذا الباب هو قوله تعالى:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إن كثيرين من أبناء الشعوب الإسلامية من عرب وأتراك وأكراد وإيرانيين وألبانيين وغيرهم أساءوا فهم موقف الإسلام من القوميات من جهة وتطرفوا في شعورهم القومي من جهة أخرى، إذ أعطو (القومية) المرتبة الأولى بين قيم الوجود كلها بتأثير بعض الأفكار الغربية العارضة في التاريخ الأوروبي، فكونوا تيارات قومية معارضة للإسلام وأوهموا فئة من شعوبهم بصحة اتجاههم، واستغلوا ميل الإنسان الفطري إلى عشيرته وقوميته وعملوا على تقوية هذا الميل وتضخمه، والنضج فيه، فسارت فئة المسلمين في كل شعب ـ دون وعي ولا إدراك لمخالفة الإسلام ـ في ركاب الاتجاه القومي المتنكر للإسلام.

إن من الممكن والمفيد سد الطريق على هؤلاء في صياغة الإسلام الصياغة الحديثة.

(هـ)إن المرور بالحل الإسلامي للمشكلات الناشئة في المجتمعات الحديثة بوجه عام أمر مفيد وضروري لأننا بذلك نشعر الناس باشتمال الإسلام على حلولها وبعدهم عن

الحلول غير الإسلامية وخاصة إذا علمنا أن تسلل المذاهب المخالفة باستغلال أوضاع نفسية ومراحل اجتماعية معينة.

(و) أما أسلوب العرض فيحسن أن يراعى فيه أن يكون مفهوماً ومستساغاً لدى أبناء العصر الحديث ولكن مع الحذر من تسرب المفاهيم الغربية عن الإسلام من خلال الأسلوب وخاصة من خلال المصطلحات والتعابير التي اتخذت في الأصل أوعية لمضامين فكرية للمذاهب الأخرى.

(ز) ومن الواجب مراعاة تقوى الله في استخراج الأحكام والأفكار من نصوص القرآن والسنّة والتبرؤ من ميل الهوى إلى رأي سابق في النفس ومحاولة الدقة والاستقصاء في البحث.

من أين ننطلق؟

المنطلق الأول والأساسي للسير في صياغة الإسلام إنما يكون من حيث انطلق بنا القرآن الكريم نفسه، وهو المنطلق الثابت الدائم الذي يأخذ بنا إلى الإيمان بالله وعبادته وحده دون سواه والطاعة لأمره، وترقب حسابه، وذلك عن طريقي

التفكر والإِيمان بالغيب بتصديق رسله إلى الناس.

وهذا لا يمنع أن تكون هناك منطلقات ثانوية أخرى على الطريق وخاصة منطلق العالم الإِسلامي المعاصر المكون من اهتماماته الحالية ومنطلق العالم الغربي الحديث باهتماماته النظرية والعملية.

إن العالم الإِسلامي المعاصر مهتم بقضايا التحرر من الاستعمار والظلم والنشاط وتوطيد الحريات، ومهتم كذلك بالتقدم المادي والتنمية وبالعدالة الاجتماعية وأمثالها من القضايا الاجتماعية، ولكل من هذه القضايا موقعها في الإِسلام وحلها المناسب.

وللعالم الغربي المعاصر كذلك مواطن اهتمامه، الإِيجابية والسلبية، أعني القيم التي يشيد بها والنواقص التي يشعر بها، ويتطلع إلى تداركها، فهو يشيد بقيمة العقل وتقدم الفكر وبحقوق الإِنسان وحرياته وبالإِنتاج والتقدم المادي وبتوسيع دائرة الإِنسانية والتعاون الإِنساني، كما أنه يشكو من القلق ويشعر بتردي القيم الخلقية وتفكك الأسرة وإفلاس العقلانية والتقدم

المادي، في توليد الاطمئنان النفسي والتحرر الإنساني ويشعر بإفلاس الكنيسة ورجال الدين المسيحي، ويشعر في الوقت نفسه بالحاجة إلى دين يشبع تطلعاته.

إن اهتمامات العالمين الإسلامي والغربي يمكن أن تكون منطلقات ثانوية ومعالم للوقوف عندها وإبراز موقف الإسلام بينها.

المنطلقات القرآنية:

إن المنطلقات القرآنية وإن تعددت تتجه كلها إلى هدف واحد هو توحيد الله أي عبادة الإنسان لله وحده، وطاعته وخضوعه لحكمه وحده، في سلوكه وعلاقاته، وقد جعل المحرض الأكبر على ذلك النظرة المستقبلية لحياة أخرى هي حياة الحساب والجزاء، وبناءً على هذا يمكن السير في خطين متوازيين أحدهما عقلي والآخر كاشف عن مضمون النصوص القرآنية المقابلة في الموضوع نفسه والتي تلتقي كل اللقاء مع الخط الأول.

عرض موجز لمراحل الصياغة

١ ـ إن النظرة العلمية إلى الكون مقتصرة ـ كما يقول أصحابها وكما يقررها فلاسفة العصر والمختصون بفلسفة المعرفة ومناهج العلوم ـ على استخراج الصورة الحقيقة للكون وقوانين حوادثه، ولا يستطيع العلم أن يجزم بما وراء ذلك ولا أن يجيب على تساؤلات الإنسان مَن خلق الكون؟، وإلى أين ينتهي؟ وبالتالي لم يستطع أن يرقى الإنسان ولا أن يسعده. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما يستخرج من الحقائق العلمية عن الكون يستخدم لغايات وأهداف لا يحددها العلم وليس ذلك من وظيفته، فلا بد إذن من الأخذ بنظرية الأخلاق، ولا بد من الأخذ بتصور عام للوجود تكون هذه الحقائق جزءاً منه ولكنه أوسع منها فمن أين يؤخذ هذا التصور وليس هذا من اختصاص العلم التجريبي.

٢ ـ يتبع هذه الفكرة الوصول إلى عقيدة الإيمان بالله

من التسلسل المنطقي الذي ينطلق من الحقائق العلمية من سنن الكون وتطوره إلى الله خالق الكون ومبدعه والخالق المقدر لسنته ونظامه السببي.

٣ ـ بيان أن ما انتهينا إليه من الصورة العلمية المعقولة عن الكون ومن انتهائها إلى خالق الكون هو ما جاء به القرآن في جملته أي: النظرة الواقعية المشتملة على النظام السببي لحوادث الكون وعلى استعمال الحواس والعقل لكشف حقائقها.

٤ ـ لم يتحرر الإنسان باعتباره إنساناً قديماً وحديثاً في ظل مختلف الأنظمة الديمقراطية والاشتراكية فهو عبد للآلة وللإنتاج وللمجتمع ـ كالحزب والمنظمات السياسية أو الاقتصادية ـ وذلك يتجه لتأليه قيم لا تستحق التأليه.

فالإنتاج ورفاهية العيش هي الغايات العليا والحزب في النظام الاشتراكي هو المشرع الأعلى وإعلان القومية هو هدف بعض هذه الأنظمة إلى غير ذلك مما سبق الصراع بين البشر وفشو الأثرة وتردي الأخلاق، نتائج كثيرة سيئه آخذة في التزايد ولا سبيل إلى التخلص من هذه النتائج إلا

بإرجاع كل من هذه القيم إلى مكانها كأجزاء من الحياة والكون وجعل المهيمن الأعلى عليها جميعاً هو خالق الكون والمشرع الحقيقي للكون وللإنسان وهو الله.

إن ما كتب من قبل الغربيين أنفسهم ولا يزال يكتب في نقد الحضارة الغربية مفيد جديد في هذا المجال ويمكن أن يضاف إليه:

أن القرآن عنى جداً بتحرير الإنسان من العبودية للبشر سواء أكانوا ملوكاً كفرعون الذي يمثل السلطة السياسية، أو أغنياء كقارون الذي يمثل السلطة المالية، أو كانوا أنبياء كعيسى ابن مريم، أو أي قيمة من القيم التي ذكرتها آية **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره...﴾** (التوبة: ٢٤).

وقد خصص القرآن سورة خاصة للإشادة بهذا التحرير وجعل الطريق للتحرر السلبي إيجابياً يجعل الإنسان غير خاضع إلا لخالقه وخالق الكون وهذه السورة هي سورة

القصص التي تنتهي بالحل النهائي المعبر عنه في آخر آية في السورة.

﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾.

أفكار قرآنية أساسية لبناء الصياغة:

١ ـ الله خالق الكون ـ مادة ونظاماً ـ أزلي الوجود.

٢ ـ خلق الله الكون في البداية ثم جعل له طريقاً أو أطواراً ذات سنة منتظمة لتكامل وجوده، وهذا ما تشير إليه عبارات «في ستة أيام» و «في يومين» و «أربعة أيام» «ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده» و «إلى السماء وهي دخان».

٣ ـ جعل الله الخالق لوجود الكون وحوادثه سنناً (قوانين) يسير بموجبها.

٤ ـ العقل مستعيناً بالحواس أداة لكشف حقائق الكون وسننه وإشارات القرآن في ذلك صريحة وواضحة والسنّة تؤيد ذلك وتبينه.

فهرست

الموضوع	الصفحة
المؤلف في سطور	٣
مقدمة	٧
الواقع والمصير	٨
المضمون القرآني نقطة الإنطلاق	١٧
صياغة العقيدة الإسلامية	٢١
المنطلق الأول للإسلام: الكون	٣٢
المنطلق الثاني للإسلام: الإنسان	٣٥
عناصر الدعوة الإسلامية	٤٣
العودة للأصول	٤٦
من أين ننطلق	٥٤
عرض موجز لمراحل الصياغة	٥٧

صدر في هذه السلسلة

١ ـ محمد المبارك: نظام الإِسلام العقائدي في العصر الحديث.

٢ ـ د. طه جابر العلواني: خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإِسلامية.

٣ ـ محمد معين صديقي: الأسس الإِسلامية للعلم.

٤ ـ د. عبد الحميد أبو سليمان: قضية المنهجية في الفكر الإِسلامي.

٥ ـ د. إسماعيل الفاروقي: صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية.

٦ ـ د. زغلول راغب النجار: أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإِسلامية.

اصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً ـ سلسلة إسلامية المعرفة

- إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- الوجيز في إسلامية المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق عمل بعض مؤتمرات الفكر الإسلامي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر.
- نحو نظام نقدي عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمه عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصري، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- نحو علم الإنسان الإسلامي، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، (دار البشير/ عمان الأردن) (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، للدكتور عبدالله الأحسن، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الرياض، (١٤١٠هـ/١٩٩١م).
- تراثنا الفكري، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ /١٩٩١م).
- مدخل إلى إسلامية المعرفة: مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
- إصلاح الفكر الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر، أبحاث الندوة المشتركة بين مركز صالح عبدالله كامل للأبحاث والدراسات/ بجامعة الأزهر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- ابن تيمية وإسلامية المعرفة، للدكتور طه جابر العلواني،الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

ثانيًا ـ سلسلة إسلامية الثقافة

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ثالثًا ـ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي

- حجية السنة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الثالثة، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الخامسة، (١٤١٣هـ /١٩٩٢م).
- المسلمون والبديل الحضاري للأستاذ حيدر الغدير، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- مشكلتان وقراءة فيهما للأستاذ طارق البشري والدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، للأستاذ راشد الغنوشي، الطبعة الثالثة،(١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

رابعًا ـ سلسلة المنهجية الإسلامية

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثالثة،(١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي،
الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- مجلد الأعمال الكاملة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- معالم المنهج الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- في المنهج الإسلامي: البحث الأصلي مع المناقشات والتعقيبات، الدكتور محمد عمارة، (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل للأستاذ نصر محمد عارف، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

خامسًا - سلسلة أبحاث علمية

- أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الطبعة الثالثة، (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- العلم والإيمان: مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- روح الحضارة الإسلامية، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ضبطها وقدم لها عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، للدكتور عبد المجيد النجار، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

سادسًا - سلسلة المحاضرات

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

سابعًا - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- الأسس الإسلامية للعلم، للدكتور محمد معين صديقي، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقي، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

ثامنًا - سلسلة الرسائل الجامعية

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للأستاذ أحمد الريسوني، (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الخطاب العربي المعاصر: قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة للأستاذ فادي إسماعيل، الطبعة الثالثة،(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان،

(١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الثالثة، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- القرآن والنظر العقلي، للدكتورة فاطمة إسماعيل، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، للدكتور عبدالرحمن زيد الزنيدي، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للدكتور راجح الكردي، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي، للدكتورة نعمت عبد اللطيف مشهور، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، للدكتور سليمان الخطيب، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- الأمثال في القرآن الكريم، للدكتور محمد جابر الفياض، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- الأمثال في الحديث الشريف، للدكتور محمد جابر الفياض، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، للأستاذ إبراهيم العَقِيلي، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

تاسعًا ـ سلسلة المعاجم والأدلة والكشافات

- الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محيي الدين عطية، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- الفكر التربوي الإسلامي، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- قائمة مختارة: حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة ، للأستاذ محي الدين عطية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)(١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- دليل الباحثين إلى التربية الإسلامية في الأردن، للدكتور عبد الرحمن صالح عبدالله، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- دليل مستخلصات الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية، للدكتور عبد الرحمن النقيب، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- الدليل التصنيفي: لموسوعة الحديث النبوي الشريف ورجاله، إشراف الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

عاشرًا ـ سلسلة تيسير التراث

- كتاب العلم، للإمام النَّسائي، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

حادي عشر ـ سلسلة حركات الإصلاح ومناهج التغيير

- هكذا ظهر جيل صلاح الدين.. وهكذا عادت القدس، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

ثاني عشر ـ سلسلة المفاهيم والمصطلحات

- الحضارة ـ الثقافة ـ المدنية «دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم» للأستاذ نصر محمد عارف ، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المملكة العربية السعودية: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ص.ب. 55195 الرياض 11534
تليفون: 0818-465-1 (966) فاكس: 3489-463-1 (966)
المملكة الأردنية الهاشمية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص.ب. 9489 ـ عمان
تليفون: 992-639 (6-962) فاكس: 420-611 (6-962)
لبنان: المكتب العربي المتحد ص.ب. 135788 بيروت.
تليفون: 779-807 (1-961) 184-860 (1-961) فاكس: 1491-478 (212) 070
المغرب: دار الأمان للنشر والتوزيع، 4 زنقة المامونية الرباط
تليفون: 276-723 (7-212) فاكس: 055-200 (7-212)
مصر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي 26 ب شارع الجزيرة الوسطى الزمالك ـ القاهرة
تليفون: 9520-340 (2-20) فاكس: 9520-340 (2-20)
الامارات العربية المتحدة: مكتبة القراءة للجميع ص.ب. 11032 دبي (سوق الحرية المركزي الجديد)
تليفون: 901-663 (4-971) فاكس: 084-690 (4-971)

شمال أمريكا

ـ أمانة للنشر
AMANA PUBLICATIONS
10710 Tucker Street, Suite B, Beltsville, MD 20705-2223 USA
Tel: (301) 595-5777 • Fax: (301) 595-5888

ـ السعداوي/ المكتب العربي المتحد
SADAWI PUBLICATIONS/ UNITED ARAB BUREAU
P.O. Box 4059, Alexandria, VA 22303 USA. Tel: (703) 329-6333 • Fax: (703) 329-8052

ـ خدمات المكتب الإسلامي
ISLAMIC BOOK SERVICE
2622 East Main Street Plainfield, IN 46168 USA
Tel: (317) 839-8150 • Fax: (317) 839-2511

بريطانيا:

ـ المؤسسة الإسلامية
THE ISLAMIC FOUNDATION
Markfield Dawah Center, Ratby Lane, Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944 • Fax: (44-530) 244-946

ـ خدمات الإعلام الإسلامي
MUSLIM INFORMATION CENTER
233 Seven Sisters Rd. London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170 • Fax: (272-3214

فرنسا: مكتبة السلام
LIBRAIRE ESSALAM
135 Bd. de Menilmontant, 75011 Paris Tel: (33-1) 43 38 19 56 • Fax: (33-1) 43 57 44 31

بلجيكا: سيكومبكس
SECOMPEX. Bd. Mourice Lemonnier; 152
1000 Bruxelles Tel: (32-2) 512-4473 • Fax: (32-2) 512-8710

هولندا: رشاد للتصدير
RACHAD EXPORT, Le Van Swinden Str. 108 11
1093 Ck Amsterdam Tel: (31-20) 693-3735 • Fax: (31-20) 693-8827

الهند:
GENUINE PUBLICATIONS & MEDIA (Pvt.) Ltd.
P.O BoX 9725 Jamia Nager, New Delhi 100025 INDIA
Tel: (91-11) 630-989 • Fax: (91-11) 684-1104

هذه الرسالة

تبحث هذه الرسالة في مركز الانطلاق الحضاري نحو صياغة نظام الإسلام العقائدي، حتى نتمكن ـ نحن المسلمين ـ من مواجهة النظم العقائدية الوافدة المتداعية إلى غزونا بنظام عقائدي إسلامي، ونعرف مركز انطلاقنا ثم نعود إلى هدفنا من صياغة نظام الإسلام العقائدي.

وتؤكد الرسالة على أن مقابلة النظم العقائدية ـ الأيديولوجيات ـ القائمة في العالم بنظام عقائدي إسلامي ينطلق من المضمون الأساسي للفطرة القرآنية ومن المشكلات المعاصرة ومن الأزمات الماثلة في الأنظمة الحديثة بغية حلها في ضوء تلك النظرة ويكمل نقص تلك العقائديات، محتفظاً في إطاره بمنجزات الحضارة الحديثة ومكاسبها في ميدان العلوم البحتة وفي ميدان الصناعة ما دامت قابلة للدخول في أطر الإسلام العقائدية والأخلاقية.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي في سطور

● أسس المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٩٨١ م للعمل من أجل تجنيد جمهور العلماء والمثقفين المسلمين لإعادة صياغة الفكر الإسلامي المعاصر ومناهجه في مجال العلوم والدراسات الإنسانية والاجتماعية.

● ولتحقيق هذه الغاية يسعى إلى عقد الحلقات والمؤتمرات العلمية ويقوم بنشر الدراسات والأبحاث وإنجاز الكتب المنهجية المدرسية والجامعية.

● كما يعمل على استكمال أدوات البحث والنظر العلمي الأصيل المستقل بتقديم رؤية شاملة موضوعية حضارية للمثقف المسلم.